المصطلح اللساني العربي القديم.. ومؤشر تماسك النص

أ. لخضر لغزال
جامعة أدرار

الملخص:

إذا نحن أقنعنا أنفسنا قناعة راسخة بمدى إسهام هذا الدرس اللغوي العربي في الدرس اللغوي العام وبكونه يمثل مرحلة بارزة ورائدة في هذا الدرس اللغوي العام؛ فإن الأهم من ذلك كله هوالوقوف على تتبع نظريات هذا الدرس اللغوي ، وذاك هو الذي يجعل هذا التراث اللغوي العظيم ذا إسهام متجدد يتماشى وصيرورة تجدد النظريات في حقل علم اللغة. إننا بصدد تحديد دقيق لنظرياته ليسهل بيان قيمته ومقارنته بالفكر اللغوي المعاصر.

Abstract:

Si nous sommes convaincus que nous croyons fermement la mesure de la contribution de cette leçon dans le cours de langue arabe, la langue et l'année d'être un stade et un leader de premier plan dans cette année, la leçon linguistique le plus, c'est de se tenir sur la piste les théories linguistiques de cette leçon qui fait que ce patrimoine linguistique une grande contribution revolving et le processus de renouvellement des théories dans le domaine de la linguistique. Nous sommes dans le processus de détermination des théories exactes de la valeur de déclaration facile et comparé à la pensée linguistique contemporaine.

أولاً : المقدمة

01- توطئة :

فرضت الحياة الاجتماعية والذهنية والفكرية الجديدة خوفاً على اللغة العربية ولغة القرآن والدين والدولة والتراث، فكان لابد من وضع تصورات عقلية تعصم اللغة وتحافظ على طبيعة تشكل جيناتها النصية وأشكال تعالقها، فقام العلماء باستقراء النصوص التامة السليمة البنية والأداء ثم صار العمل في الحقل اللغوي مقروناً بخصائص الدراسات العلمية القائمة على الاستقراء والملاحظة والفروض والتجربة والقياس والاستنباط بغية الكشف عن نظام اللغة، ومعرفة قوانينها ومن ثم صياغتها في نظريات لغوية علمية تساعد على ضمان سلامة عملية التواصل اللغوي استقبالاً وإرسالاً وقراءةً وتأولاً.

والأهم من هذا كله أن المصطلح يلبي حاجة عظيمة الأهمية هي الحاجة إلى كسب المعنى وقد حدث هذا مع الخطابات المتعددة للعلوم الوضعية إلى الدرجة التي أضحت معا صفة العلمية رهينة بدقة المصطلح المستخدم وما دام الاتجاه نحو تأصيل علمية النقد الأدبي يتزايد يوماً بعض يوم، فإنه ينبغي بالفعل إيلاء المصطلح النقدي أهمية قصوى على مستويين نظري وتطبيقي لأنه هو الذي يحدد نوعية الخطاب النقدي ويضفي عليه أوجه *تميزه ويعمل على تنميته وتطويره* .

إن تحليل التراث هو في نفس الوقت تحليل لعقليتنا المعاصرة وبيان أسباب معوقاتها، وتحليل عقليتنا المعاصرة هو في الوقت نفسه تحليل للتراث لما كان التراث القديم مكوناً رئيساً في عقليتنا المعاصرة ومن ثم يسهل علينا رؤية الحاضر وكأنه ماض يتحرك . ووصف للماضي على أنه حاضر معيش، لاسيما في بيئة كتلك التي نعيشها حيث الحضارة فيها ما زالت قيمة .

وحيث الموروث ما زال مقبولاً فالحديث عن القديم يمكن من رؤية العصر فيه، وكلما أوغل الباحث في القديم وفك رموزه وحل طلاسمه أمكن رؤية العصر والقضاء على المعوقات في القديم إلى الأبد، وإبراز مواطن القوة والأصالة لتأسيس نهضتنا المعاصرة".

وإذا كان المشتغلون بالدراسات اللغوية المعاصرة عندنا قد اتجهوا في تقويمهم للتراث العربي اتجاهاً نقدياً بارزاً بالحديث عما فيه من معيارية ومنطق وفلسفة، فإن اتجاهات المستشرقين والمنظرين الغربيين راحوا في كثير من الأحايين يثبتون للتراث العربي أوجه تفوق كبيرة جداً أكثر من انتقاده، فهم يرون أنه يمثل صياغة سريعة بشكل غير عادي أتبعها امتداد ثري سريع على نحو مماثل في كل حقول الدرس اللغوي : الأصوات والصرف والنحو والدلالة وفلسفة اللغة. لقد تطور الدرس اللغوي عند العرب في ستة قرون في اتجاه أكثر تجانساً مع اللغويات الغربية فيما بعد النهضة منه مع لغويات القرون الوسطى في الغرب.

ونحن بصدد استلهام المقوم الحضاري من تراثنا اللغوي القديم وجب أن لا يكون هذا الاستلهام" باجترار لفحواه بوصفه الأنموذج الذي لا يضارعه سواه بل البحث فيه يقتضي بعثه بعثاً جديداً، وإعادة صياغته صياغة علمية تسمح له بمواكبة التحول الحضاري للمجتمع اللغوي ـ كما أفادتنا النظرية اللسانية العالمية، لا ينبغي لها أن تبلغ مبلغ العزوف عن تراثنا إلى درجة المروق والعقوق ظناً بنا أن هذا التراث لا يمثل سوى التخلف والجمود والقحط الفكري ، وإنما المطلوب هو أن نستلهم الجوهر العلمي للنظرية اللسانية العالمية ونحاول تطويعه خدمة لحل المشاكل العلمية للغة العربية التي لها عمر حضاري يفوق اللغات الغربية بردح غير قليل من الزمن.

نحن في أمس الحاجة إذن إلى عرض ما في تراثنا اللغوي من أفكار ومفاهيم لغوية رائدة وإيماننا في هذا الصدد بالتراث اللغوي العربي بقدر ما

أسهم به قوي في ترسيخ الدرس اللغوي عبر مسيرته الطويلة ومقدار قيمة ما قدمه هذا التراث .

إننا ونحن نروم البحث في دفاتر التراث العربي القديم أحوج ما نكون إلى معرفة الأساس المصطلحي الذي قام عليه هذا التراث خاصة إذا رسخ في أذهاننا كثرة الحقول المعرفية التي بني عليها هذا التراث؛ من نحو وصرف وبلاغة وتفسير ودلالة وغيرها مما يدفع بالاعتقاد إلى ضرورة الإحاطة العلمية الكاملة بهذه المصطلحات .. بيد أن الأهم من ذلك كله هو الوقوف على تتبع نظريات هذا الدرس اللغوي هو الذي يجعل هذا التراث اللغوي العظيم ذا إسهام متجدد يتماشى وصيرورة تجدد النظريات في حقل علم اللغة. إننا بصدد تحديد دقيق لنظرياته ليسهل بيان قيمته ومقارنته بالفكر اللغوي المعاصر.

ثانياً : البسط

01- التراث اللغوي العربي وعلمية المصطلح:

يظهر الاستقراء العلمي للتراث اللغوي العربي أن علماء اللغة العربية الأوائل ابتكروا مصطلحات جسدت المعاني والمفاهيم المستنبطة من بنية اللغة، سواء أكان ذلك المستوى الصوتي أم المستوى النحوي الدلالي، فكان الخليل بن أحمد الفراهيدي سباقاً إلى ضبط الحقائق العلمية التي توصل إليها، وترك لمريديه ولمن جاء بعده ثروة حفزت طاقاتهم الفكرية على البحث والدراسة، فنتج عن جهدهم العلمي، أن استثمروا أولاً ما ابتكره الخليل من مصطلحات حافظوا عليها .. ثم وضعوا مصطلحات جديدة.

والملاحظ أيضاً "أن اللغويين القدامى - بجهودهم المعهودة في وضع قوانين اللغة العربية بكل مجالاتها وتصنيفاتها - قد اهتموا اهتماماً كبيراً بالكلمة - مفردةً - فتناولوا بنيتها حرفاً حرفاً في إطار التركيب النحوي،

ووضعوا قوانين التغيرات الصرفية والتقليبات الصوتية المؤثرة في المعنى، والمتعلقة بالظواهر اللغوية المتنوعة".[1]

والمؤكد أن نظام اللغة، أو علوم اللغة العربية نظام متكامل، ينبني كما هو معروف على سلّم تصاعدي: صوت وصرف ثم تركيب (نحو) وبذلك فهو نظام تكاملي قائم بالأساس على ذلك الارتباط العضوي بين ما سُمّيَ في اللسانيات الحديثة بمستويات اللغة، ومن هنا نسجل ذلك "السبق اللغوي لأسلافنا في الكثير من القضايا والمباحث اللغوية التي توصلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث، وذلك يستوجب العودة إلى تراثنا اللغوي على ما ينطوي عليه من آراء متطورة تلتقي بلا ريب مع ما توصلت إليه البحوث اللسانية الحديثة، ولربط الماضي بالحاضر، لأن الماضي هو بعض من وجودنا، والحاضر هو بعضه الآخر وبين هذا وذاك تفاعل وتكامل لا خصام ولا صدام".[2]

حري بنا – ضمن هذا الإطار – أن نجمل طائفة من المصطلحات التي سادت قديماً وكانت تؤشر من حيث دلالة المفهوم على معنى (التماسك والترابط والتلاحم) في قوالب اللغة وصيغها المختلفة أكانت شعراً أم نثراً، ذلك أن كل علم من العلوم له مصطلحاته الخاصة به قد اتفق العلماء على استخدامها وأصبحت هذه المصطلحات مخصصة بما اتفق عليه أهل هذا العلم .وكذا أكثر مصطلحات العلوم لكل مصطلح منها معنىً لغوي ومعنىً

---

[1] – لفتات ومواقف حول الصلة بين النحو والصرف.محمد بركات حمدي. ص88- 86.نقلاً عن: يوسف وسطاني .التكاملية في التحليل اللغوي في ضوء التراث ومقتضيات اللسانيات الحديثة.مجلة التراث العربي .دمشق . سورية.ص117.

[2] – عروبة الزمان وعروبة المكان. صفوان قدسي. مجلة اتحاد الكتاب العرب ــ العدد 122ــ دمشق ــ حزيران يونيو1981ــ ص6. نقلاً عن: يوسف وسطاني التكاملية في التحليل اللغوي في ضوء التراث ومقتضيات اللسانيات الحديثة.مجلة التراث العربي . دمشق . سورية.ص118.

اصطلاحي تعارف عليه أهل هذا العلم ووضعوه ليدل على مقصدهم؛ فمن المصطلحات الشائعة في الدراسات اللغوية التي أطلقها المؤلفون العرب على الاشتغال بالمفردات اللغوية جمعاً وتأليفاً و- يختلف العلماء أحياناً حول مفاهيمها- ما يلي:

- **اللغة**: وهو أقدم المصطلحات، قيل عن أبي زيد الأنصاري (ت215 هـ): كان أحفظ الناس للغة، والمقصود بذلك جمع المفردات ومعرفة دلالاتها، وبهذا المعنى كانت كتب الطبقات تميز بين المشتغلين بالنحو أو العربية من جانب والمشتغلين باللغة من الجانب الآخر، لذا عد سيبويه (ت180 هـ) والمبرد (ت 275 هـ) من النحاة بينما عد الأصمعي (ت216هـ) من اللغويين . وقد ظل استخدام كلمة اللغة بهذا المعنى عدة قرون وأصبح (اللغوي) هو الباحث في المفردات جمعاً وتأليفاً.

وقد عرّف ابن جني (ت392هـ) اللغة بأنها " (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم..)، وهذا التعريف على إيجازه يتضمن معظم الجوانب التي اتفق عليها المحدثون في تعريف اللغة .فهو يشير إلى الوظيفة التعبيرية للغة ويفصح أيضاً عن كون اللغة اجتماعية، أي أنها لا توجد إلا في أحضان جماعة لغوية معينة يتعاملون بها تعبيراً عن أغراضهم، وأهم شيء في هذا التعريف هو ما قرره في أن - اللغة أصوات- وهذا ما يؤكده اللغويون المحدثون".[1] و" لعل في مقدمة هؤلاء المحدثين دي سوسير نفسه". [2]

- **فقه اللغة** :يقرن أحياناً هذا اللفظ باسم العالم اللغوي ابن فارس (ت 395هـ) وذلك منذ القرن الرابع الهجري من خلال كتابه – الصاحبي في فقه اللغة – ولم ينشر هذا المصطلح بعد ذلك إلا عند أبي منصور الثعالبي (ت

[1] – حاتم صالح الضامن .علم اللغة . د ط. د ت . وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. بغداد. العراق .ص32.

[2] – المرجع نفسه. ص 33.

429هـ) إذ سمى كتابه – فقه اللغة وسر العربية – "و يتفق كتابا ابن فارس والثعالبي في معالجتهما لقضايا الألفاظ العربية؛ فموضوع فقه اللغة عندهما هو معرفة الألفاظ العربية ودلالتها وتصنيف هذه الألفاظ في موضوعات من أبرزها – نشأة العربية – كما تضمن كتاب الثعالبي قسماً ثانياً هو سر العربية وتناول فيه عدداً من الموضوعات الخاصة ببناء الجملة ".[1]

- **علم اللغة** :استخدم عند قسم من اللغويين المتأخرين وكان القصد منه دراسة الألفاظ مصنفة في موضوعات مع بحث دلالتها . " فالرضي (ت 686هـ) شارح الشافية والكافية لابن الحاجب (ت 646 هـ) لا يفرق بين اللغة وعلم التصريف فموضوع الأول دراسة الألفاظ وموضوع الثاني معرفة القوانين الخاصة ببنية هذه الألفاظ . وموضوع علم اللغة عند أبي حيان النحوي (ت 745 هـ) هو دراسة مدلول مفردات الكلم وقد أطلق عليه - علم اللغة العام- ".[2] والظاهر أن تراثنا العربي في ميدان الدراسات اللغوية لم يعرف في القرون الأولى هذا المصطلح للدلالة على أي نشاط علمي أو منهج مستقل في دراسة اللغة وإنما كان يكتفي بكلمة (اللغة) للدلالة على جمع الألفاظ وتبويبها وعمل المعاجم أي ما يتصل بشكل عام بدراسة المفردات وتصنيفها غير أننا نجد إشارة إلى ما يسمى (علم اللغات) أو(علم اللغة) عند بعض العلماء ومصنفي العلوم العربية في القرون الأخيرة ".[3]

---

[1] –تشير بعض أبيات الشعر إلى ان هذا المصطلح كانا متداولاً في الأوساط العلمية وقتئذ. من ذلك قول أحدهم:

نبئت أن أبا رياش قد حوي علم اللغات وفاق فيما يدعي

من مخبري عنه فإني سائل من كان حنكه بأير الأصمعي

[2] – التواتي بن التواتي . مفاهيم في علم اللسان. ط 01 . سنة 2006 م .الجزائر . ص 15

[3] – ابن فارس . الصاحبي في فقه اللغة . ص 66،نقلاً عن عصام نور الدين . محاضرات في فقه اللغة . ط01 . سنة 2003 م .دار الكتب العلمية . بيروت لبنان .ص35.

وممن خاض في هذا المصطلح عبد القاهر الجرجاني حين كان بصدد إبراز أهمية علم اللغة في تحصيل باقي العلوم الأخرى، يقول : وجملة الأمر أنه لا يرى النقص يدخل على صاحبه في ذلك إلا من جهة نقصه في علم اللغة . كما أشار إلى مصطلح علم اللغة تقي الدين الحموي بقوله : إما أن تبحث المعنى الذي وضع له اللفظ وهو علم اللغة . وممن استعرض مفهومه كذلك السيوطي وذلك في بيان الفرق بين علم النحو وبين علم اللغة . يقول السيوطي : ولا شك أن علم اللغة من الدين لأنه من فروض الكفايات وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة. أما من الصحابة الكرام الذين أشاروا بهذا المصطلح عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- حينما قال : لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة.

ومن العلماء الأوائل الذين حاولوا أن يدلوا بدولهم في الوقوف على شيء من الخصائص العلمية لهذا المصطلح ابن فارس الذي يفرق بين علم العربية وعلم اللغة. إذ نجده يقول: "وعلم اللغة كالواجب على أهل العلم، لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم على سنن الاستواء وكذلك الحاجة إلى علم العربية فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني. ألا ترى أن القائل إذا قال : (ما أحسن زيد) لم يفرق بين التعجب والاستفهام والجزم إلا بالإعراب؟ "!. [1] يلاحظ الباحث أن ابن فارس قد جعل – علم العربية – واجباً على أهل العلم أي أنه يتكلم على مجال علمي صرف في باب القول في حاجة أهل العلم والفتيا إلى معرفة اللغة العربية. [2]

---

[1] – ابن فارس . الصاحبي في فقه اللغة . ص 66، نقلاً عن عصام نور الدين . محاضرات في فقه اللغة . ط01 . سنة 2003 م .دار الكتب العلمية . بيروت لبنان .ص35.

[2] – حسن ظاظا . اللسان والإنسان ص 43. نقلاً عن عبد الغفار حامد هلال .علم اللغة بين القديم والحديث. ط 02 . سنة 1976 م. القاهرة .مصر. ص 22.

ويشير بعض الباحثين المحدثين إلى مقصود ما كان يعنيه ابن جني في مقام حديثه عن الفرق بين (علوم اللغة) و(علم اللغة) أو(فقه اللغة) فعلوم اللغة عنده هي العلوم الموازين الحاوية للقواعد والقوانين التي تبين الخطأ من الصواب، أما علم اللغة وفقه اللغة فهما من المباحث التفسيرية الفلسفية الوصفية التي تنبني على دراسة العلاقة القائمة بين الفكر والتعبير ودرس التطور التاريخي للغة، واستقراء الظاهرة اللغوية خلال النصوص ومقارنة الظاهر بعضها ببعض.[1] ويعد كمال بشر (فقه اللغة) بمفهومه القديم والحديث حلقة من حلقات الدروس في اللغة وبهذا يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بهذا المصطلح العام (علم اللغة).[2]

وممن خاض كذلك في هذا المصطلح نجد طاش كبرى زاده (ت967 هـ) الذي يعرف علم اللغة بأن : علم اللغة هو علم يبحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي وعما حصل من تراكيب كل جوهر وهيئاتها الجزئية على وجه جزئي وعن معانيها الموضوعة لها بالوضع الشخصي وموضوعه جواهر المفردات وهيئاتها من حيث الدلالة على المعاني الجزئية. [3] فعلم اللغة عنده يشمل البحث في الألفاظ المفردة ودلالتها وفي الحروف التي تتركب منها الكلمة بالإضافة إلى بعض الجوانب الصرفية المتصلة بذلك . أما ابن خلدون فيرى علم اللغة بأنه : علم الموضوعات اللغوية. أي ما تواضع عليه المتكلمون من كلمات ومعان أي : دوال ومدلولات .

---

[1] – المرجع نفسه . ص 25.

[2] – طاش كبرى زادة . كتاب مفتاح السعادة. الجزء 01 . ص 100 و101. نقلاً التواتي بن التواتي . مفاهيم في علم اللسان. ط 01 . سنة 2006 م .الجزائر . ص 17

[3] – هامش كتاب التعريف بعلم اللغة . دافيد كريستال . ترجمة حلمي خليل . ط01 سنة 1967. ص 22 نقلاً عن: ابن التواتي . مفاهيم في علم اللسان. ط 01 . سنة 2006 م .الجزائر . ص 17.

أما الرضي الاستراباذي فيرى أن علم اللغة هو: علم الألفاظ المعينة السماعية. ومقصده من ذلك أنها الألفاظ المفردة التي هي أعيان مشخصة وأفراد وجزئيات مادية يتكون منها اللسان وهذا يقابل النسب والعلاقات الناتجة عن التركيب وهي موضوع علم بمعناه العام فمجموعة المفردات المندرجة في اللسان وهي مادته هي اللغة ودراستها هي علم اللغة أو علم متن اللغة ويقابلها باللغة الأجنبية(lexicologie).

- **الائتلاف**: [1] هو الاجتماع، يقال : ائتلف الشيء :ألف بعضه بعضاً، قال العلوي : وهو افتعال من قولهم : ألف الخرز بعضها إلى بعض : إذا ضمها.[2]وفي اللسان : وقد ائتلف القوم ائتلافاً وألف اللّه بينهم تأليفاً. وقد سمى ابن حجة الحموي مراعاة النظير ائتلافاً وتناسباً وتوفيقاً ومؤاخاة وعرفه بقوله : وهو في الاصطلاح أن يجمع الناظم أو الناثر أمراً وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنىً أو لفظاً للفظ، أو معنىً لمعنىً، إذ يقصد جمع الشيء إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه.[3]وقال المدني عن مراعاة النظير :هذا النوع أعني مراعاة النظير، سماه قوم التوفيق وآخرون بالتناسب وجماعة بالائتلاف وبعضهم بالمؤاخاة، قالوا : هو عبارة عن أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنىً، أو لفظاً للفظ، أو معنى لمعنىً، إذ القصد جمع

---

[1] – الائتلاف بالمصطلح الأدبي المعاصر يطلق على مجموع يمتلك وحدة مشتركة بين جميع عناصره، ويتأسس على: – اختيار عناصر من نفس المستوى .– اختيار وحدات ذات بعد واحد، وعلاقات ذات نمط واحد

[2] – العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة والعلوم وحقائق الإعجاز، ج 02، مطبعة المقتطف، 1914، مصر، نقلاً،عن :أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج 01، وزارة الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، 1979، ص 39.

[3] – ابن حجة الحموي : خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعيتو، ج 02، منشورات دار ا لهلال، بيروت، لبنان، 1987، ص 131. نقلاً،عن : مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص40.

شيء وما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه.[1]ثم قال :لا يخفى أن هذا التفسير يدخل فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف المعنى مع المعنى، وكل هذه الأقسام عده أرباب البديعيات نوعاً برأسه، ونظموا له شاهداً مستقلاً وجعلوه مغايراً لهذا النوع .[2]

والتأليف هو الإنشاء قال الجاحظ: [3] ومن الخطباء والشعراء من يؤلف الكلام الجيد ويصنع المثاقلات ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة. [4]والتأليف هو الائتلاف والتلفيق والتناسب والتوفيق ومراعاة النظير. قال السبكي[5] وكان الأحسن تسميته التأليف لمراعاة التوفيق. والتأليف تركيب الجمل والعبارات. قال القزويني: وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات.[6]

وقد جعل قدامة بن جعفر من عيوب ائتلاف معاني الشعر مع أوزانه ما سماه (المبتور) وهو عنده أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت

---

[1] – ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، حققه وترجم لشعرائه : شاكر هادي شكر، ج03، ط01، 1968، نقلاً،عن : مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص 40.

[2] – المصدر نفسه، ص 40.

[3] – الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكتاني البصري (159–255 هـ) أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها..

[4] – الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ج 01، مكتبة الخانجي، الطبعة 07، 1997، القاهرة، مصر، ص 51 . نقلاً عن: مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص 41.

[5] – تقي الدين السبكي، الفقيه الشافعي الصوفي المحدث الحافظ المفسر المقرئ الأصولي المتكلم النحوي اللغوي الأديب الحكيم المنطقي الجدلي الخلافي النظار، يلقب "بشيخ الإسلام وقاضي القضاة"، (683 هـ – 756 هـ). وهو والد الفقيه تاج الدين السبكي

[6] – القزويني، الإيضاح في علو م البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، نقلاً عن مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص 41.

واحد، فيقطعه بالقافية ويتممه في البيت الثاني. وقد سمى أبو هلال العسكري ذلك (تضميناً) ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

كأن القلب ليلة قيل يغذى بليلة العامرية أو يراح

قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح. [1]

- **التلاؤم** :تلاءم القوم والتأموا: اجتمعوا واتفقوا. [2]قال الرماني : التلاؤم نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف

في التأليف. والتأليف على ثلاثة أوجه متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا. [3]والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة. [4]

- **التلاحم** :لحم الشيء لحماً وألحمه فالتحم : لأمه. التحم الصدع والتأم بمعنى واحد، ولحمة النسب : التشابك.[5]وأجود الشعر عند الجاحظ ما كان متلاحم الأجزاء سهل المخارج ؛ ورديء الشعر ما كان مستكرها لا يقع بعض ألفاظه على بعض، فإن ذلك يكد اللسان عند النطق به، وقد مثل لهذا بقول محمد ابن يسير الرياشي :

لم يضرها والحمد لله شيء وانثنت نحو عزف نفس ذهول

---

[1] – بدوي طبانة. قضايا النقد الأدبي .ط03.سنة 1984 .دار المريخ للنشر . الرياض السعودية.ص95

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (لأم) .

[3] – محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الرماني والخطابي والجرجاني، دار المعارف، مصر، ط 03،ص 87، نقلاً عن مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص 378.

[4] – المرجع نفسه، ص 378.

[5] – ابن منظور، لسان العرب، مادة لحم ..

ثم قال: فتفقد النصف الأخير من هذا البيت فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض.[1] والجاحظ في موطن آخر يتنبه إلى ضرورة ملاءمة الكلمة بعضها لبعض ـ كما ينبه على ضرورة ملاءمة الكلمات بعضها لبعض، وكذلك حروف الكلمات وأجزاء البيت، تراها متفقة مواتية سلسة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كان الكلمة بأسرها حرف واحد. [2] ومما يدخل في هذا المعنى أن إسحاق الموصلي انشد الأصمعي قوله في غضب المأمون عليه :

يا سرحة الماء قد سدت مواردة أما إليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتى لا حيام لـه محلأ عن طريق الماء مسدود

فقال الأصمعي : أحسنت في الشعر، غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي لعابتها.[3]

- **الانسجام** : انسجم الماء والدمع : انصب، الانسجام : الانصباب قال ابن منقذ : الانسجام أن يأتي كلام المتكلم شعراً من غير أن يقصد إليه، وهو يدل على نور الطبع والغريزة.[4] وقال المصري:[5] هو أن يأتي الكلام متحدراً

---

[1] – الجاحظ . البيان والتبيين .الجزء الأول . الكتاب الثاني . تح وشر: محمد هارون .ط 07 . سنة1997م. ص66 نقلاً عن :علي محمد العماري . قضية اللفظ والمعنى وأثرهما في تدوين البلاغية العربية . رسالة دكتوراه. ط01 سنة 1999 مكتبة وهبة . القاهرة . ص137.

[2] – المرجع نفسه . ص 65.

[3] – المرزباني.الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء.سنة 1922 م . جمعية نشر الكتب العربية. القاهرة .ص 300. نقلاً عن :علي محمد العماري . قضية اللفظ والمعنى وأثرهما في تدوين البلاغية العربية .رسالة دكتوراه . ط01 سنة 1999 مكتبة وهبة . القاهرة . ص137.

[4] – ابن منظور : لسان العرب، مادة سجم .

[5] – المصري، بديع القرآن، تق وتح /: حفني محمد شرف، د ط، د ن، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص 166 نقلاً عن مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص242.

كمنحدر الماء المنسجم سهولة سبك، وعذوبة ألفاظ حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره مع خلوه من البديع، وبعده عن التصنيع وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود كمثل الكلام المتزن الذي تأتي به الفصاحة في ضيق النثر عفواً كمثل أشطار وأنصاف وأبيات وقعت في أثناء الكتاب العزيز.

والانسجام نوعان : نوع يأتي مع البديع الذي لم يقصد كقوله تعالى : (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون)[1]وتفقد وقع فيه تعطف في قوله (إلى الله) و(أعلم من الله) إلى جانب ما فيه من سلامة وانسجام ونوع لا بديع فيه كقوله تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) [2] [3]وأكثر آي القرآن الكريم من شواهد هذا الباب. ويذهب المصري إلى اعتبار أن الانسجام فيما يتحدر الكلام كتحدر الماء المنسجم، سهولة سبك وعذوبة لفظ، وإلى ذلك يذهب ابن قيم الجوزية والحلي والحموي والسيوطي والمدني والنابلسي.ومن الانسجام الذي وقع في الأشعار المقصودة قول أبي تمام :

إن شئت ألا ترى صبراً لمصطبر فانظر على أي حال أصبح الطلل

و قوله :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

- **الالتئام :** يقال تلاءم القوم، اجتمعوا واتفقوا ، ويقال التأم الفريقان والرجلان : إذا تصالحا واجتمعا . والتأم الجرح التئاماً : إذا برأ والتحم.[4]

---

[1] – سورة يوسف / الآية : 89

2- سورة الأعراف (الآية 199).

[3] – سورة الأعراف (الآية 199).

[4] – ابن منظور، لسان العرب، مادة لأم.

الالتئام : أن تكون كلمات النظم متناسبة ليس فيها ما يثقل على النطق عند اجتماعها . وهذا ما تحدث القدماء عنه في باب التنافر وفصاحة الكلام وخلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات. وذكروا قول القائل :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر.

وقول أبي تمام :

كريم متى امدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي .

وعيار التحام أجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن، الطبع واللسان، فما لم يتغير الطبع بأبنيته وعقوده ولم يتحبس اللسان في فصوله ووصوله بل استمر فيه واستسهلاه بلا ملل وكلال فذلك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارناً.[1] ومما التأم أجزاؤه التئاماً حسناً قول أبي حية النميري:[2]

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم
رميم التي قالت لجارات بيتها ضمنت لكم ألا يزال يهيم
ألا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم

وذكر الرماني مثل ما ذكر الجاحظ وقال إن : المتلائم في الطبقة العليا القرآن كله.[3] ونقل ابن رشيق كلام الجاحظ إلى باب النظم .

---

[1] – المرزوقي، شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام،تأليف محمد بن عاشور، تح، ياسر بن حامد المطيري،تق عبد المحسن العسكر، ط 01، 1010، ص 122 نقلاً عن مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص219.

[2] – أبو حية النميري هو :الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير بن حناب بن كعب بن مالك بن عامر.. شاعر مخضرم مجيد مقدم وعدّهُ مُحَمَّدُ بْنُ سلاَّمٍ الجُمَحيُّ في "طبقَاتَ الشُّعَرَاءِ" في طبقة بشار بن بُرْد ودونه.

[3] – الرماني، النكت في إعجاز القرآن،ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، تح وتع :خلف الله أحمد وزغلول سلام، ط02، دار المعارف، مصر، ص88، نقلاً عن : عن مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص221.

- **السبك**: سبك : ذوب وأفرغ في قالب، والسبك : تسبيتك السبيكة من الذهب والفضة : يذاب ويفرغ في مسبكه والجمع سبائك.[1]قال ابن منقذ : أما الفك فهو أن تنفصل المصراع الأول من المصراع الثاني : ولا يتعلق بشيء من معناه. مثل قول زهير :

حي الديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

و أما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره. [2] كقول زهير:[3]

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا ضارب حتى ما ضاربوا اعتنقا.

- **النسيج** : هو الأسلوب أو التعبير عن المعاني والأفكار بألفاظ وعبارات يشد بعضها بعضاً ليصبح الكلام كالنسيج الذي انضمت خيوطه وترابطت،و أصبحت محبوكة ليس فيها خيط مضطرب ولا لون ضال، وقد طلب القدماء وحدة النسيج أي الأسلوب الواحد المتلائم في القصيدة وعابوا الشعر المتفاوت النسج. [4]وقد يقع تفاوت النسج في القصيدة الواحدة، وعلل القاضي الجرجاني[5] ذلك بقوله :" إن أحدهم بينا هو مسترسل في طريقته وجارٍ على عادته، فيحتاجه الطبع الحضري فيعدل به متسهلاً، ويرى في

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة سبك .

[2] – ابن منقذ، البديع في نقد الشعر،تح أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، د ط، د ت، سلسلة تراثنا، ص 162 نقلاً عن مطلوب، معجم النقد العربي القديم،الجزء 02، ص 37.

[3] –هو زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار، المزني، من مضر. (? – 13 ق. هـ / 502 – 609 م) حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة

[4] – المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، 1343، د ط، جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة، مصر، ص 70 نقلاً عن مطلوب، معجم النقد العربي القديم،الجزء 02،ص 397.

[5] – القاضي الجرجاني هو على بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني. أبو الحسن، ولا يعرف سنة ميلاده... وولد في جرجان.

البيت الحنث، فإذا أنشد في خلال القصيدة وجد قلقاً بينها نافراً عنها، وإذا أضيف إلى ما ورائه وأمامه تضاعفت سهولته فصارت ركاكة، وربما افتتح الكلمة وهو يجري على طبعه، فينتظم أحسن عقد، ويختال في مثل الروضة الأنيقة حتى تعارضه تلك العادة السيئة فيتسنم أوعر طريق، ويتعسف أحسن مركب فيطمس تلك المحاسن، ويمحو طلاوة ما قد قدم."[1] و وقع الشعراء في تفاوت النسج ومنهم أبو تمام، قال :

لو حار مرتاد المنية لم يجد إلا الرفاق على النفوس دليلا

قالوا الرحيل فما شككت بأنها نفسي من الدنيا تريد الرحيلا

حتى يقول :

لله درك أي معبر قفرة لا يوحش ابن البيضة الإجفيلا

أو ما تراها ما تراها هزة تشأى العيون تعجرفاً وذميلا!

فنغص تلك اللذة وأحدث في النشاط فترة.[2] وعلة هذا التفاوت في النسج أنه لابد لكل صانع من فترة والخاطر لا تستمر به الأوقات على حال، ولا يدوم في الأحوال على نهج.[3] يقول القاضي الجرجاني :" وأقل الناس حظاً في هذه الصناعة من اقتصر في اختياره ونفيه (يقصد منشئ النص) وفي استجادته واستسقاطه (يقصد مستقبل النص) على سلامة الوزن وإقامة الإعراب وأداء اللغة، ثم كان همه وبغيته أن يجد لفظاً مرموقاً وكلاماً مزوقاً قد حشي تجنيساً وترصيعاً وشحن مطابقة وبديعاً أو معنىً غامضاً قد

---

[1] – القاضي الجرجاني،الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح وشرح محمد البجاوي، ط 01، 2006، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص 22، نقلاً عن مطلوب، معجم النقد العربي القديم،الجزء 02،ص 397.

[2] – القاضي الجرجاني،الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح وشرح محمد البجاوي، ط 01، 2006، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص 22، نقلاً عن مطلوب، معجم النقد العربي القديم،الجزء 02،ص 397.

[3] – المرجع نفسه، ص 397.

تعمق فيه مستخرجه وتغلغل إليه مستنبطه، ثم لا يعباً باختلاف الترتيب واضطراب النظم وسوء التأليف وهلهلة النسج، ولا يقابل بين الألفاظ ومعانيها ولا يستبر ما بينها من نسب ولا يمتحن ما يجمعها من سبب ولا يرى اللفظ إلا ما أفاده البديع ولا الرونق إلا ما كساه التصنيع". [1]

- **الناظم :** النظم التأليف . نظمت اللؤلؤ : جمعته في السلك ونظمت الشعر والنظم : المنظوم.[2] النظم تعليق الكلم بعضه ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض.[3] وهو توخي معاني النحو، قال الجرجاني:[4] "و أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها، وذلك إنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه.[5]

والنظم جانب مهم من جوانب الإيقاع لأنه الكفيل بتحقيق التفاعل المنتظم بين مكونات العمل الفني وأجزائه، فمدار الأمر " أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى ان تضعها في النفس وضعاً واحداً".[6]فالنظم يقوم في جوهره على

---

[1] – القاضي الجرجاني . الوساطة بين المتنبي وخصومه. تح وشر :محمد إبراهيم وعلي البجاوي . منشورات المكتبة العصرية .د ط . د ت . بيروت . لبنان .ص.312.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادة نظم ..

[3] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دط، دت، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص 52 .

[4] – عبد القاهر الجرجاني هو أبو بكر بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، فارسي الأصل، جرجاني الدار، ولد في جرجان وعاش فيها دون أن ينتقل إلى غيرها حتى توفي سنة 471 هـ.

[5] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دط، دت، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص 55 .

[6] – المصدر نفسه .ص 70.

التلاؤم،والانسجام بين الأجزاء وائتلافها على نحو يوفر التماسك التركيبي، ويجعل أي تغيير في بناء النص يؤدي إلى تداعيه، أو إلى تغيير معانيه وسماته..

وقد كان الجاحظ يريد بالنظم التأليف اللفظي ويرى أنه موضع الإعجاز، وذلك حيث يقول :- بعد أن أشار إلى أن الرسول تحدى العرب بعشر سور ولو مفتريات- : فما بال القرآن وقد جمع إلى النظام الرائع المعاني الفائقة. فهو إنما يريد بالنظام النظم ويجعله مقابلاً للمعاني الفائقة.[1]

- **القران** :قرنت الشيء بالشيء : وصلته والقران،حبل يقلد البعير ويقاد به.[2]القران هو الربط بين أبيات القصيدة ليقع التشابه والانسجام. وقد ذكره الجاحظ وهو يتحدث عن تلاحم أبيات الشعر وتوافقها . قال أبو نوفل بن سالم لرؤبة بن العجاج: يا أبا العجاف: مت إن شئت. قال: وكيف ذلك ؟! قال : رأيت عقبة بن رؤبة ينشد رجزاً أعجني إنه يقول : لو كان لقوله قران . قال الشاعر :

مهادية مناجية قران منادية كأنهم الأسود.

وأنشد الأعرابي :

وبات يدرس شعراً لا قران به قد كان نقحه حولاً فما زادا

أراد بقوله قران التشابه والموافقة، وكان يطلب أن يوضع البيت إلى جنب ما يشبهه ويوافقه. [3]والقران في الشعر كذلك هو ما كانت أجزاؤه متلائمة، فلا تتباين ألفاظه، ولا تتنافر كلماته من ذلك قول الثقفي :

---

[1] – علي محمد العماري . قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية . رسالة دكتوراه. ط01 .سنة 1999 م . مكتبة وهبة القاهرة .ص49.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادة قرن .

[3] – الجاحظ، البيان والتبيين، تح وشرح عبد السلام هارون، الكتاب الثاني ج 01،ط 07، 1997 مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص 205.نقلاً عن : مطلوب، معجم النقد العربي القديم،الجزء 02،ص 178. وينظر كذلك : الشعر والشعراء، ص 90، وعيون ا لأخبار، ج02، ص 184.

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه إذا قل ناصـره ويأنف الضيم إن أثرى له عدد [1]

والمتأمل للبيتين لا شك يدرك مدى السهولة واليسر في جريانهما على اللسان. والقران في الشعر كذلك هو الموافقة والمشابهة ين أبياته بحيث لا يكون في الشعر ما هو غريب عنه، وإنما تكون ألفاظه متوافقه ومعانيه مترابطة فإذا أخذ الشاعر في معنى فلا ينبغي أن يدخل ما لا علاقة له به حتى الألفاظ فيها المشاكلة، وبهذه المشاكلة اللفظية المعنوية يتم الترابط بين أجزاء العمل الشعري، ويرون أن ذلك سمة من سمات الجودة وأنه لا يتوافر إلا في نتاج الشعراء المطبوعين .

- **الرصف** :ضم الشيء إلى بعضه البعض نظمه .رصفه يرصفه رصفاً فارتصفت، وتراصف القوم في الصف : قام بعضهم إلى لزق بعض . ورصف ما بين رجليه : قربهما.[2]قال السجلماسي : أصل الرصف عند الجمهور وهو مثال أول لقولهم : رصف بين شيئين ضم بينهما .ورصف قدميه ضمهما والرصف :: حجارة مضمومة في مسيل "و هو يرادف النضد وذلك لملاحظة الترتيب والنظام فيه . ثم نقل إلى علم البيان على سبيل نقل الأسامي الجمهورية إلى الصنائع الحادثة..[3]وقد تحدث العسكري عن حسن الرصف وسوئه فقال : وحسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها وتمكن في أماكنها. ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام ولا يعي المعنى، وتضم كل لفظة منها إلى شكلها وتضاف إلى لفقها وسوء الرصف تقديم ما

---

[1] – بدوي طبانة . قضايا النقد الأدبي . مرجع سابق . ص 97.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادة رصف

[3] – السجلماسي، النزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تق وتح علال الغازي، 1980، الرباط، المغرب، نقلاً عن : مطلوب، معجم النقد العربي القديم، الجزء 02،ص 18.

ينبغي تأخيره منها. و صرفها عن وجهها وتغيير صنيعتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها.[1]

بيد أن النحاة لم يستعملوا مصطلح الرصف الذي يشير في الغالب إلى صورة بناء السياق سواء في حدود الجملة أو ما فوقها .. أم النقاد فقد كان مما أثر عنهم منذ البداية عبارة – حسن الرصف- ذلك بان عمل النحاة كان أكثر ميلاً إلى لتفكيك منه إلى التركيب فالهم الأول للنحوي أن يعرب الجملة كلمة كلمة وأن يعنى بوظائف الكلم في إطار الجملة المفردة .. وقد اتجه نقاد الأدب في أغلب عملهم إلى النص في جملته وبخاصة الجانب الأسلوبي غير التقعيدي في هذا النص، ومن هنا كان عليهم أن يستعملوا مصطلحات تتناسب مع اهتمامهم بسياق متصل "فجاءوا بمصطلحات تختلف عن مصطلحات النحاة منها النظم والتأليف والسبك والرصف والترتيب والنسج آخذين ذلك من أوجه الشبه بين النص وبين القلائد والمعادن والأبنية والملابس، وهي أمور يبدو في تكوينها وخلقها ما يشبه بناء النص، ومن ثم كانوا يشبهون النص وما ينسبونه إلى النص بما في بنيتها من الإتقان والجمال".[2]

- **الأسلوب** : لقد احتفى الدرس العربي منذ القرن الثاني بالهجري بدراسة الأسلوب في مباحث الإعجاز القرآني التي استدعت – بالضرورة – ممن تعرضوا للتفسير أن يتفهموا مدلول لفظة " أسلوب " عند البحث الموازن بين أسلوب القرآن الكريم وغيره من أساليب كلام العرب، متخذين ذلك وسيلة لإثبات ظاهرة الإعجاز للقرآن الكريم .

---

[1] – العسكري، الصناعتين، تح :محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط 01، 1952، دار إحياء الكتب العربية، ص 161. نقلاً عن مطلوب، معجم النقد العربي القديم،الجزء 02،ص 18.

[2] – تمام حسان . اجتهادات لغوية . دار عالم الكتب . الطبعة 01. 2007 م . القاهرة . مصر . ص45.

يقال للسطر من النخيل :أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب . والأسلوب الطريق والوجه والمذهب يقال :أنتم في أسلوب سوء ويجمع على أساليب . والأسلوب : الطريق تأخذ فيه والأسلوب : الفن يقال : أخذ فلان في أساليب من القول، أي : أفانين منه.[1]

أراد ابن قتيبة[2] بالأسلوب طريقة التعبير وطريقة في النظم لأن الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحداً منها اغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد.[3] و جاء الأسلوب عند العلوي بمعنى تركيب العبارة والتفاوت فيه . ففي قوله تعالى : (ومن آياته الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) قال : فأنظر إلى هذت الأسلوب ما ألف مجراه وما أحسن بلاغته وأدق مغزاه . قدم الخبر في قوله : ومن آياته ولو أخره لذهبت تلك الحلاوة وبطل ما فيه من الرونق . انظر إلى طرح الموصوف في قوله : الجواري ولم يقل الفلك الجواري وجمعه على فواعل ولم يجمعه على جاريات ولو فعل شيئاً من ذلك لنقصت بلاغته ونزلت فصاحته.[4]

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة سلب

[2] – ابن قتيبة هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213 هـ–15 رجب 276 هـ/828 م–13 نوفمبر 889 م) أديب فقيه محدث مؤرخ عربي. له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها.

[3] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء تح وشرح أحمد محمد شاكر، الجزء الأول،1958، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 62، نقلاً عن: مطلوب، معجم النقد العربي القديم،الجزء 02،ص 167.

[4] – يحيى العلوي اليمني،الطراز، تح : عبد الحميد هنداوي،الجزء 01،ط 01، 2002،المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ص158، نقلاً عن : مطلوب، معجم النقد العربي القديم،الجزء 02،ص 170.

والأسلوب عند القرطاجني[1] الطريقة والأساليب تتنوع بحسب مسالك الشعراء في كل طريقة من طرق الشعر، وبحسب تصعيد النفوس فيها إلى مرونة الخشونة أو تصويبها إلى سهولة الرقة أو سلوكها مذهب وسطاً بين ما لان وما بحسب تصعيد النفوس فيها إلى مرونة الخشونة أو تصويبها إلى سهولة الرقة أو سلوكها مذهب وسطاً بين ما لان وما خشن من ذلك كالكلام بحسب هذه الأنحاء ثلاثة أساليب.[2]

وأراد ابن قتيبة بالأسلوب طرقة التعبير وطريقة العرب في النظم لأن الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وبين هذه الأقسام فلم يجعل منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين..

لقد كان لعلماء متقدمين كأبي عبيدة (ت 120هـ) والأخفش سعيد بن مسعدة (ت 207 هـ) والفراء (ت 208 هـ) الجهد الكبير في إثراء مفهوم الأسلوب في الشعر وجلاء أشكاله رغم تباين الأهداف التي سعوا إليها بين بلاغة الخطاب القرآني وإعجازه أو دفع طعون الملحدين في القرآن الكريم ولغته.

- **اتساق النظم** : هذا الفن من صفات الشعر الجيد قال ثعلب:[3] اتساق النظم : ما طاب قرضه،وسلم من الإقواء والإكفاء والإجازة والإيطاء

---

[1] – القرطاجني حازم بن محمد بن حازم أو أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجني كان شاعرًا وأديبًا، قدم إلى تونس ومدح السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد المستنصر، وأشهر قصائده له القصيدة الطائية. له تآليف منها: منهاج البلغاء وسراج الأدباء في البلاغة. توفي عام 684 هـ \1386 م.

[2] – القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء،

[3] – أبو العباس ثعلب(200هـ– 291هـ،816 م – 904م) أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني، أبو العباس المعروف بثعلب. نحويّ، لغويّ. إمام الكوفيين في النحو واللغة، راوية للشعر، محدِّث مشهور بالحفظ، ثقة، حجة. وُلد ببغداد.كانت له آراء كثيرة في بعض قواعد النحو والصرف، ومن أشهر كتبه: الفصيح؛ قواعد الشعر؛ مجالس ثعلب؛ معاني القرآن؛ إعراب القرآن..

وغير ذلك من عيوب الشعر . وما قد سهل القدماء إجازته من قصر ممدود ومد مقصور وضروب أخر كثيرة وإن كان ذلك قد فعله القدماء وجاء عن فحول الشعراء[1] ومعظم الشعر يتصف باتساق النظم ولا يخرج منه إما ما وقع فيه عيب أو ضرورة مخلة بالأصول .

- **اتساق البناء :** وسق الليل واتسق والطريق يأتسق ويتسق : ينضم .اتسق القمر استوى واتساق القمر امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشر وأربعة عشر وقال الشعراء : إلى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتساقه.[2] ذكر قدامة[3] (اتساق البناء)[4] وقرنه بالسجع وقال إنه كقول النبي صلى اللّه عليه وسلم لجرير بن عبد اللّه البجلي : خير الماء الشبم وخير المال الغنم وخير المرعى الأراك والسلم إذا سقط كان لجيناً وإذا يبس كان دريناً وإذا أكل كان لبيناً.

- **الوحدة الموضوعية.. والعضوية..[5] والفنية :** لقد أكد البلاغيون على ضرورة ترابط أجزاء النص وتماسكها وتعلق بعضها ببعض والذي يسمى في

---

[1] – ثعلب، قواعد الشعر، حققه وعلق عليه وقدمه رمضان عبد التواب، سلسلة روائع التراث اللغوي (8)،مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص59. نقلاً عن: مطلوب، معجم النقد العربي القديم، الجزء 02، ص79.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادة(وسق)..

[3] – قدامة بن جعفر (260هـ– 337 هـ)هو بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج، كان نصرانيا وأسلم على يد المكتفي بالله، من مشاهير البلغاء الفصحاء وقد استكمل بعد ابن المعتز تأسيس مباحث علم(البديع)، وحمل لوائه، وتوضيح معالمه، وتحديد نهجه.

[4] – قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ، تح محمد محي الدين بن علي الجهيني، ط 01، 1975، دار الكتب العلمية ن القاهرة، مصر ص 03 نقلاً عن مطلوب، معجم النقد العربي القديم،الجزء 02،ص88.

[5] – يتألف مصطلح "الوحدة العضوية " "unite organique" من جزأين :الوحدة وهي ميزة ما هو واحد مهما تكن مفهومات هذه الكلمة والعضوية، وهي نعت تعريفي وصفي يطلق على ما هو مركب من أجزاء تتكامل بوظائفها المختلفة . وكل عضوي كلمة، في هذا المعنى مرادفة للمنظم،و الوحدة العضوية ذروة تضاد العناصر المختلفة وتضامنها.

الاصطلاح النقدي الحديث " الوحدة العضوية:، بحيث لا يحس معها القارئ بطفرة أو تفكك، بحيث تكون لرقاب المعاني أخذة بعضها ببعض".[1] وإنما أكدوا على ذلك، لما له من بعد نفسي مهم يمنح النص القدرة والفعالية في مجال التأثير في المتلقي، وإحداث الاستجابة المناسبة عن طريق المحافظة على انتباهه ومتابعته للنص، لخلوه مما يقطع عليه هذه المتابعة ويعكر صفو انتباهه .

ولا يكون النص كذلك إلا إذا خلا من تفكك أجزائه، ومن حشد المعاني المتعددة، وعرض النبضات الشعورية المختلفة، دون أن يحس الربط بينها والتخلص من السابق إلى اللاحق منها. من هنا ذهب ابن طباطبا إلى النص لا يوصف بالجودة حتى تسابق معان به ألفاظه: فبتلذذ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع برونق لفظه،وتكون قوافيه كالقوالب لمعانيه وتكون قواعد للبناء يتركب عليها ويعلو فوقها، فيكون ما قبلها مسوقاً إليها، ولا تكون مسوقةً إليه فتقلقل في مواضعها ولا توافق ما يتصل لها.[2]

والنص أيا كان – شعراً أو نثراً - هو أحوج ما يكون إلى خاصية تجمع شتاته وتلم أطرافه حتى كأنه جسد واحد ولحمة واحدة. يقول الحاتمي:[3]إن مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التراكيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه وتعفي معالمه . قال: وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة (..) يحترسون حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال وتأتي القصيدة في

---

[1] – ابن الأثير،جوهر الكنز،تحقيق محمد زغلول سلام،دار المعرفية،الإسكندرية،مصر،2009، ص121– 130.

[2] – ابن طباطبا،عيار الشعر، شرح وتحقيق :عباس عبد الساتر،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1982، ص11.

[3] – من علماء الأدب عاش في القرن الرابع الهجري وتوفي سنة 388 هـ.

تناسب صدرها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل منها جزء عن جزء. [1]

وقد ميز البلاغيون والنقاد القدامى في إطار الوحدة العضوية للنص الأدبي والعمل الفني المتكامل قصيدة كان كلاماً منثوراً ثلاثة عناصر أساسية: براعة الاستهلال، وحسن التخلص من غرض إلى آخر، وحسن الخاتمة. وعالجوا هذه العناصر الثلاث الأساسية، وارتباط بعضها ببعض.

وقد أثار النقاد خاصية الطبع عند الشاعر لما لها من أثر في إيجاد نوع من الوحدة في القصيدة، فلقد فطنوا إلى أن هناك أشعاراً متكاملة فنياً تتميز بتلاحم وتلاؤم أجزائها وأخرى لا تتوفر لها صفة الجمال الفني بسبب تكلف الشاعر مما جعل النقاد يعدون الإبداع الفني من عم الطبع، أما ما ينتجه التكلف والتمحل فهو صنعة وليس شعرا، وإنما هو كما يقول ابن سلام : [2] كلام مؤلف معقود القوافي.[3] أي ان الشاعر تكلف عمل الشعر فربط المعاني ورسم الصور، والتي قد تكون متقنة من حيث التلاؤم والارتباط الخارجي ومن حيث استعمال الألفاظ الرنانة والتعبيرات الغريبة، وكل هذه مجرد مواد يمكن أن يستعملها الشاعر في البناء الشعري ولكن ليست هي كل شيء في الإبداع الفني لأنها غير معنية بالصدق، صدق التجربة الشعرية التي لا ترجع إلى التركيب العقلي، أو المنطقي، لأن الشعر

---

[1] – بدوي طبانة . مرجع سابق .ص 99.

[2] –ابن سلام الجمحي هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم (140–231 هـ) سمع العلم والأدب من نفر كثيرين منهم أبوه ومنهم : الأصمعي وبشار بن برد وأبو البيداء الرياحي وأبو عبيدة معمر بن المثنى ومروان بن أبي حفصة والمسيب بن سعيد والمفضل الضبي ويونس بن حبيب . وهو من رواة اللغة والأشعار، إلا أنه أوسع شهرة وأثبت قدماً في رواية الشعر

[3] – ابن سلام الجمحي، طبقات فحو الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، ج 01،دار المدني بجدة، السعودية، د ت، ص 08.

ليس تركيباً عقلياً بالدرجة الأولى، وإنما هو تركيب فني يتألف من اللغة والعاطفة والانفعال والصورة.

وأما ابن طباطبا فيرى أن الإبداع الفني فهو عملية معاناة ومكابدة وأن الشاعر الحاذق هو ذلك الذي عرف أصول الصنعة الفنية، وأجادها بوعي كامل إلا انه مع ذلك قد فطن إلى أهمية الوحدة ودعا الناشئة من الشعراء إلى ضرورة تحقيقها في العمل الإبداعي وذلك عند حديثه عن كيفية بناء القصيدة .

أما طبيعة الوحدة التي تحدث عنها فهي وحدة تنبع من داخل العمل الإبداعي نفسه يشترك في إيجادها كل مكونات القصيدة من ألفاظ ومعان وصور ووزن وقافية وفكرة ولهذا يدعو الشاعر الذي يطمح إلى إبداع قصيدة تتحقق فيها الوحدة أن ترتبط عناصرها بعضها ببعض كالقلادة التي لكل جوهر فيها مكانها الخاصة بها، وقيمتها في إضفاء التناسق والجمال الذي هو نتيجة حتمية تتولد عن عناصرها جميعاً..

والحق أن الغاية من التحليل النصي للقصيدة يبقى دائماً محاولة فهمها وتفسيرها من خلال مكوناتها، بصرف النظر عن الغرض الذي أنشئت من أجله أو المناسبة التي لابست إنشاءها، والذي يساعد على الدخول في عالم القصيدة ليس هو معرفة غرضها أو مناسبة إنشائها، بل هو إضاءتها وكشف أسرارها اللغوية، وتفسير نظام بنائها وطريقة تركيبها وإدراك العلاقات فيها وبيان الوجوه الممكنة للنص، ولا يتم هذا النوع من التحليل النصي

إلا بالاعتماد على المادة نفسها التي تكون منها النص الشعري.

02- قراءة في منطوقة المصطلح اللساني العربي القديم:

لقد كان علماء العربية في العصور الذهبية من تاريخهم سباقين إلى ابتكار المصطلحات وفق منهجيات فرضتها طبيعة التخصصات العلمية والأدبية، فتركوا ثروة ضخمة من المصطلحات في مختلف المعارف العلمية

والأدبية، وكان لعلماء اللغة الأثر العلمي البارز في ابتكار مصطلحات لغوية اتسمت بالدقة والوضوح والدلالة ..هذه الثروة المفرداتية كان قوامها فكر إبداعي ابتكر مصطلحاته من دون خوف من خذلان لغته، أو شعور بعجزها عن تبني تصوراته ورؤاه .و يظهر الاستقراء العلمي[1] للتراث اللغوي أن علماء اللغة العربية الأوائل ابتكروا مصطلحات جسدت المعاني والمفاهيم المستنبطة من بنية اللغة، سواء أكان ذلك على المستوى الصوتي أم المستوى النحوي الدلالي ..

لقد سبق العرب غيرهم من الأمم الأخرى في توفير(المصطلح) حتى كان لهم في علم المصطلح طرائقهم الخاصة وتقاليدهم التي أفادوها في هذه الممارسة العلمية.

لقد ترك لنا السلف من تلك المصطلحات الكثير الذي يتوزع في شعب المعرفة كافة، فكانت من ذلك معجمات خاصة بكل علم من العلوم . وقد أتيح للعرب أن يجدوا في لغتهم وسائل مفيدة في توفير المصطلح منذ أن أظلهم الإسلام بظله فقد تحولت العربية بظهور الإسلام إلى لغة علمية حفلت بكل ما يقتضيه العلم من مصطلح .

وليس أدل على ذلك من أن غير العرب من العلماء المسلمين قد اتخذوها لغة لهم كتبوا بها مصنفاتهم العلمية حتى عدهم المؤرخون من علماء العرب. لقد اتخذ أولئك العلماء العربية لغتهم في العلم لاطمئنانهم أنها الوسيلة المفضلة للإعراب عن المعارف الكثيرة، وأن لا سبيل إلى العدول عنها إلى لغتهم القديمة التي تفتقر إلى عناصر العلم.

---

[1] – الاستقراء لغة :هو من قرأت الشيء بمعنى جمعته وضممت بعضه إلى بعض ليرى توافقه واختلافه، ويعني التتبع لمعرفة أحوال شيء ما . واصطلاحا: هو عند المنطقيين الحكم على كلي بما يوجد في جزئياته الكثيرة . ويعرفه الإمام الغزالي بقوله «هو أنه تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكما في تلك الجزئيات حكم على ذلك الكلي به .

وإذا كان العلماء قد أجمعوا على ضرورة أن تتوفر للنظرية اللغوية جملة من الشروط المعرفية والمنهجية حتى ترقى إلى درجة النظرية اللغوية "فإن اللغويين العرب القدامى قد حققوا لنظرياتهم اللغوية الشروط العامة اللازمة للنظرية العلمية الصحيحة ومن ذلك :

./ التجريد والعموم : وهما خاصتان لازمتان في النحو العربي يحققهما حرصهما على القياس الذي يتخذه اللغويون العرب وسيلة يخرجون بها من آحاد الشواهد إلى القواعد العامة التي تخضع لها هذه الشروط يقول العرب على القياس :هو تجريد للمادة المسموعة واستنباط قواعدها. يحكي ابن جني عن أبي عثمان المازني قوله: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول،وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره، فإذا سمعت: قام زيد. أجزت: ظَرُفَ بِشْرُ . و: كرم خالد.[1]

./ محاولة تقليل الشواهد غير القياسية : وهي التي لا يتم تجريدها في قاعدة عامة إذ تبقى صحيحة في نفسها لا تنتهي بقاعدة عامة هي غاية التقعيد ، يقول ابن السراج في غير المقيس :" كل ما شد عن بابه فليس لنا أن نتصرف فيه ولا نتجاوز ما تكلموا به ".

./ الاكتمال : الذي يعني أن تشتمل النظرية مفردات الظاهرة اللغوية كلها أي يكون ثمة موضع في النظرية لكل مفردات الظاهرة، ويظهر اكتمال النظرية اللغوية العربية وتمامها من أمور نحو:

---

[1] – ابن جني .الخصائص . تح محمد علي النجار . ج01 .سنة 1952 م – 1955 م دار الكتب المصرية .بيروت . ص 357 .نقلاً عن محمد عبد العزيز عبد الدايم . النظرية اللغوية في التراث العربي . دار السلام للطباعة والنشر . ط01. سنة 2006 م .القاهرة . مصر .ص 23..

- تقعيدهم لما خرج عن قاعدة العامل مثلما قعدوا لما جاء وفقها
- إخضاعهم شواذ القراءات للقواعد التي تقدمها النظرية اللغوية العربية .
- البساطة : ويتمثل دورها عندهم من خلال حرصهم على تجنب التقعيد في قواعدهم، ومن ذلك نصهم
- على أنه : كلما كان الإضمار أقل كان أولى.[1] وأن : حذف شيء واحد أحسن من حذف شيئين بلا شبهه.[2]
- تحقيقهم الاتساق بين القواعد التي تنتجها نظريتهم من خلال أمور من أبرزها :

❖ نصهم على ورود الاتساق في اللغة كقاعدة – طرد الباب على نسق واحد – التي يعبر عنها ابن جني بالمماثلة والتجانس .

❖ رفضهم التناقض، من ذلك نصهم على أن الفعل إذا لم يرفع ظاهرين نحو : قام عمرو وخالد – كان أن لا يرفع مضمرين أولى.

❖ نصهم على اعتماد اللغة المشابهة والتشاكل والتجانس بين القواعد .

---

[1] – ابن الانباري . البيان في غريب إعراب القرآن . تح: طه عبد الحميد طه . ومراجعة :مصطفى السقا . ج 01 . سنة 1969 .1970 م . الهيئة العامة المصرية للكتاب . القاهرة .ص 315. نقلاً عن: محمد عبد العزيز عبد الدايم . النظرية اللغوية في التراث العربي .ص 24.

2- الجرجاني . المقتصد في شرح الإيضاح تح: كاظم بحر المرجان . ج01 . سنة 1982 م . دار الرشيد للنشر . بغداد . العراق ص 651. نقلاً عن محمد عبد العزيز عبد الدايم . النظرية اللغوية في التراث العربي .ص 24.

❖ فرارهم مما يقلل التجانس بين قواعدهم وعدم ترجيحهم له، وهو ما لا نظير له من ذلك نصهم على أن المصير إلى ما لا نظير له في كلامهم مردود.[1]

❖ مراعاة الاقتصاد وتعكسه أمور هي :

❖ تقليلهم للأوجه قدر استطاعتهم من ذلك قاعدة "المصير إلى ما له نظير أولى من المصير إلى ما ليس له نظير.[2]

❖ مراعاتهم للظاهر ما كان قدر استطاعتهم من ذلك نصهم على انه : لا معنى لترك الظاهر إذا لم يمنع منه شيءٌ ولم يقم دليل على خلافه.

❖ تجنبهم التأويل قدر الاستطاعة كنصهم : إذا وجد السبيل إلى ترك الكلام على وجهه ونظمه كان أولى من تأويل غير ذلك معه .

❖ تجنبهم التفريع من ذلك : نصهم على أنه متى أمكن حمل كلمة على الإطلاق اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً على الإفراد لم تحمل على التركيب الذي هو فرع ثان.

❖ وعيهم باقتصاد اللغة الذي يظهر مثلاً في منعها اجتماع حرفين لمعنى واحد، وفي هذا يقول ابن جني : ليس للغة حرفان لمعنى واحد مجتمعان.[3]

---

[1] – ابن الانباري. الإنصاف في مسائل الخلاف . تح: محمد محيي الدين عبد الحميد.ط 04. ج01 .سنة 1961 م . المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة .ص 248. نقلاً :عن محمد عبد العزيز عبد الدايم . النظرية اللغوية في التراث العربي .ص 25

[2] – المرجع نفسه . ج01. ص 21. نقلاً :عن محمد عبد العزيز عبد الدايم . النظرية اللغوية في التراث العربي .ص 26.

[3] – ابن جني. سر صناعة الإعراب . دراسة وتح :حسن هنداوي. ج01. ط01.. سنة 1985 م دار القلم . دمشق ص 372 م نقلاً :عن محمد عبد العزيز عبد الدايم . النظرية اللغوية في التراث العربي .ص27

إن المصطلحات المشار إليها آنفاً من حيث دلالتها تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن البحث اللغوي عند العرب كان منذ بدياته يجنح إلى تحديد المعنى تحديداً دقيقاً وهذا الحكم ينسحب على جميع الدراسات العربية بمختلف فروعها ومسمياتها نحواً، وصرفاً، وبلاغة، ولغة، ومعاجم وغيرها. فلا غرو إذن أن تصب جميع النقاشات والتوجيهات للمسائل التي دارت بين العلماء في خانة المعنى ولسان حال هؤلاء العلماء يقول أن كل ما صلح به المعنى فهو جيد وكل ما فسد به المعنى فهو مردود وهذا ينم على دلالة قوية على المكانة التي يحتلها علم المعنى . لذا كان علم الدلالة جزءاً ملازماً لعلوم اللغة العربية لم ينفصل عنها .

إن أصول التماسك النصي ليست حديثة، لكن الجديد هو الكشف عنها، ومحاولة توظيفها بشكل عملي؛ فقد كان عند علماء العربية القدامى حس لغوي صحيح، وكانت لديهم رؤية مبكرة في البحث اللغوي والنقدي، وكان يمكن لمن جاء من بعدهم أن يستثمر هذه الرؤية ويطورها فتصل في النهاية إلى حد النظرية العربية في اللغة والنقد؛ غير أن من جاء بعد هؤلاء العظام اكتفى بأن يكرر ما قالوه بفهم أو بغيره.

ذكر العلماء العرب أنواعا من العلاقات في النص، وبينوا كيف تترابط النصوص الصغيرة مكونة النص الكبير في بيان مدهش. لكن يبقى أنهم لم يُكونوا من هذه الملاحظات نظرية لغوية لنقد النصوص، هذا فقط هو ما ينقص عملهم ليكون عملاً علمياً رائعاً.

إن أقل الناس إلماماً بالركام المعرفي للتراث العربي ليدرك أن هناك إرهاصات تأسيسية تتبدى هنا وهناك في محطات بارزة في المسار التطوري للنشاط اللساني العربي وهي الإرهاصات التي ما فتئت تعد أرضاً صلدة لكثير من المقاربات العلمية للظاهرة اللغوية في اللسانيات المعاصرة، وما ذلك إلا لأن اللغويين العرب الأقدمين اندمجوا في الواقع اللغوي اندمجاً عميقاً

بالمعايشة والمعاينة الموضوعية للظاهرة اللغوية كما هي ممثلة لدى المتكلمين المستمعين المثاليين الذين ينتمون إلى البنية اللغوية المتجانسة، فاستنبطوا من ذلك أصولاً رائدة ساعدت على تطوير المفاهيم وتوسيع المجال الإدراكي للبحث اللساني.

ولا يشك باحث عدول في أن البحث اللغوي قد تطور وارتقى حتى بلغ مستوى مرموقاً في أواخر القرن الرابع الهجري يشهد على هذا مؤلفات أحمد بن فارس صاحب كتاب (الصاحبي في فقه اللغة العربية) وابن جني صاحب (الخصائص) .

وقد ظهرت لدى هذين المؤلفين فكرة واضحة عن علم اللغة بالمعنى المتداول في عصرنا الحديث على أنه علم القوانين العامة الناظمة لجزئيات اللغة وبمعنى أعم وأشمل من علم النحو .قال ابن فارس في مقدمة كتابه الصاحبي :إن لعلم العرب أصلاً وفرعاً، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا رجل وفرس وطويل وقصير وهذا هو الذي يبدأ به عند التعلم وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ثم على رسوم العرب في مخاطبتها ومالها من الافتتان تحقيقاً ومجازاً ". [1]

وأنا أقرر أن تماسك النص علم قديم في أصوله جديد في أسلوبه، وهو الامتداد الطبيعي لعلم النحو. وكان اللغويون العرب القدماء على وعي ببعض أصوله. وأما إذا نحن اتفقنا على أن اللغة العربيّة ثريّة بمصطلحاتها الحضاريّة والعلميّة، وإذا كنّا قد رأينا أنّ الثورة الصناعيّة والعلمية الحديثّة قد أتت بسيل من المفاهيم الجديدة، وإذا كنّا قد لحظنا أنّ العرب لم يستفيدوا من

[1] – محمد المبارك . فقه اللغة وخصائص العربية .سنة 2005 م . دار الفكر والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . ص 24.

مصطلحاتهم التراثيّة في التعبير عن المفاهيم الحديثة، فمن حقّنا أن نتساءل لماذا أهمل المصطلح التراثي ولم يُستفَد منه كما ينبغي؟ !.

03- لماذا أُهمِل المصطلحيّ اللساني التراثي العربي ..!؟:

إن ما يقرر حياة المصطلح هو الاستعمال وليس الوضع، فالوضع هو بمثابة الولادة وليس كل مولود يُكتب له العيش والحياة، لأن العيش يقرره تعامل المجتمع مع المولود الجديد وتعهده بالرعاية والعناية. والمصطلح الذي يلقى القبول والاستعمال من قبل الجمهور هو الذي يحظى بالبقاء والاستمرار. أما المصطلحات التي لا تُستعمل فهي بمثابة موتى لا وجود لهم إلا في سجلات النفوس.

ولقد تعرّضت المصطلحات العربية التراثية لفترة طويلة من عدم الاستعمال الفعليّ، خاصة خلال ستة قرون من الحكم العثمانيّ، والخمول الحضاريّ الذي لحق بالأُمّة العربيّة، مما أدى إلى انقطاع الصلة بين العرب وتراثهم المصطلحيّ. وعندما قامت النهضة الحديثة بمفاهيمها الغنيّة، لم تكن المصطلحات العربيّة التراثية ماثلة في الأذهان، فتجاوزها رواد النهضة العربيّة وكأنّها لم تكن موجودة أصلاً، وعمدوا إلى توليد مصطلحات جديدة أو اقتراض المصطلحات المطلوبة من اللغات الحيّة الأخرى.

- ومن ناحية أخرى، فإنّ المصطلح التراثيّ لم يكُن كلّه سليم الوضع، شائع الاستعمال، خالياً من الشوائب والعيوب؛ إذ إن طائفة من المصطلحات العربيّة التراثية هي الأخرى وُضِعت في عجالة أو نقلت من البيزنطيّة أو الفارسيّة أو اليونانيّة أو السريانيّة، كما هو الحال عند تعريب الدواوين في زمن الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان أو عند ترجمة فلسفة اليونان في العصر العباسيّ الأوّل. وهكذا نجد في مصطلحاتنا التراثيّة مصطلحات دخيلة أو معرّبة مثل (ميتافيزيقيا) و(إسطيقا)، وهي مصطلحات لم تثبت في الاستعمال، وعدل الناس عنها وأخذوا يستخدمون بدلاً منها (ما

وراء الطبيعة) و(علم الجمال)، كما نجد مصطلحات تراثيّة عربيّة أُهملت في الوقت الحاضر لما لها من إيحاءات غير محبّذة مثل (فن الحِيَل) الذي نستخدم بدلاً عنه اليوم كلمة دخيلة (الميكانيكا)، فليس ثمة مهندس يرضى أن توصف مهنته بالحِيَل على الرغم من أنّ بعض المهندسين يزاولونها. وليس هنالك طبيب عيون يرضى بأن تسمى مهنته بـ " الكُحْل" وهو المصطلح القديم لطبّ العيون.

ولنا أن نقرر ودونَ وجل أن مشروع النظرية اللسانية العربية المعاصرة لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا إذا اتحدا عاملان اثنان في بنائه :" أحدهما بعث التراث اللغوي العربي بعثاً جديداً، وإعادة صياغته صياغة علمية تسمح له بأن يواصل عطاءه في المسار التطوري للحضارة الإنسانية. وثانيهما استيعاب النظرية اللسانية العالمية استيعاباً واعياً ومحاولة تكييف معطياتها العلمية مع خصوصيات اللسان العربي، مثل هذه التوأمة الواعية إذا تحققت في إطارها العلمي النزيه ستفضي إلى تفكير لساني عربي حديث تتولد عنه بالضرورة نظرية لسانية عربية قادرة على تقديم التفسير الكافي لكل مستويات النظام اللساني العربي".[1]

لقد انصرفت جهود المفكرين الأقدمين لتنحو نحو بنية اللغة منذ أن أدركوا أهميتها في حياتهم اليومية ـ فحظيت حينئذ بتدارس أوفر ظل في تنام مستمر عبر حقب المسار التحولي للحضارة الإنسانية وهو التدارس الذي ما انفك حكراً على الفلاسفة الأولين دون سواهم في حلبة مناضلة فكرية أولع بها هؤلاء الفلاسفة إيلاعاً شديداً .

[1] – أحمد حساني . السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، مقاربة لسانية .د ط . سنة 1993. ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر . عنصر المقدمة.

ثالثا : الخاتمة

عطفاً على مضمون ما جاء في هذا المقال يمكننا أن نخلص إلى أهم النتائج المعرفية التالية :

أ- ليس من نافلة القول الاعتقاد بأن العديد من الدراسات اللغوية قد قامت على إنتاج القدماء ودراسة النص وتحليله وقد أكدت القراءة لتراثنا العربي خاصة البلاغة والتفسير بل النحو كذلك أكدت أن هناك تحليلات تقترب من التحليلات المعاصرة للنص .

ب- ثمة إجماع بين علماء اللغة العرب وبخاصة منهم النحويين على أن فائدة المفردات ليس معرفة معانيها مفردة إنما هو استعمالها مركباً بعضها إلى بعض فالألفاظ المفردة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض .

ت- لن يتحقق أي طموح في وضع نظرية عربية علمية تبحث في علم اللغة النصي دون إحياء الأفكار الصالحة في التراث والإفادة من الدراسات الحديثة.

ث- استطاع علماء اللغة العرب الأوائل من خلال رؤيتهم للنص استنتاج قواعد نصية عامّة تنسجم والنص العربي وخصائصه الفكرية والدينية .

ج- كان اشتغال علمائنا يدور حول التماسك النصي، والذي يعتبر أهم مظاهر التحليل النصي. ولذلك كانت أهم المصطلحات المتعلقة بهذا الجانب إنما تصب في هذا المنحى وفق مستوى الطرح اللغوي وتصور الفكر اللساني الذي كان سائداً وقتها .

ح- لقد حمل المصطلح العربي القديم خصائص التعريف النصي الذي يتسم في كثير من الأحيان بخلو الكلام من التعقيد وسهولة التركيب وعذوبة الألفاظ والوزن.

خ- أن من أهم الأبواب التي تسهم في إبراز الفكر العربي المتعلق بالتماسك من خلال التوابع باب الفصل والوصل ، وهو باب وجه إليه الاهتمام اللغويون والبلاغيون والمفسرون.

د- لقد صب المصطلح اللساني العربي القديم في العديد من الحقول المعرفية واللغوية كالبلاغة والصرف والتفسير والنحو وعلم الأصول وعلم الكلام فلم يكن محتكراً على اتجاه معرفي معين بعيداً عن مفهوم التخصص العلمي كما هو شائع في هذا الوقت .

جرد المصادر والمراجع :

01- عبد المجيد بوقربة . مجلة التبيين العدد 05 . دار الجاحظية . الجزائر. سنة 1992

02- محمد عبد العزيز عبد الدايم . النظرية اللغوية في التراث العربي . دار السلام للطباعة والنشر . ط01.القاهرة . مصر . سنة 2006 م

03- أحمد حساني . المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي. د ط . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . مقدمة الكتاب . سنة 1993 م

04- يوسف وسطاني .التكاملية في التحليل اللغوي في ضوء التراث ومقتضيات اللسانيات الحديثة.مجلة التراث العربي .دمشق . سورية.

05- ابن طباطبا، عيار الشعر، تح : عبد العزيز ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر،ن الرياض، السعودية، 1985 م.

06- الجرجاني، دلائل الإعجاز،قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دط، دت، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر .

07- بدوي طبانة . قضايا النقد الأدبي .ط03. دار المريخ للنشر . الرياض السعودية. سنة 1984م.

08- علي محمد العماري . قضية اللفظ والمعنى وأثرهما في تدوين البلاغية العربية . رسالة دكتوراه . ط01 مكتبة وهبة . القاهرة . سنة 1999م .

09- محمد عبد العزيز عبد الدايم . النظرية اللغوية في التراث العربي . دار السلام للطباعة والنشر . ط01. .القاهرة . مصر . سنة 2006 م.

10- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، ج 01،دار المدني بجدة، السعودية، د ت.

11.قدامة بن جعفر، الشعر والشعراء، تح وشرح، أحمد محمود شاكر، ج 01،دار المعارف. القاهرة، مصر .

12محمد المبارك . فقه اللغة وخصائص العربية . دار الفكر والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . سنة 2005 م.

13- أحمد حساني . السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، مقاربة لسانية .د ط . ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر . عنصر المقدمة. سنة 1993م.